Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (2) August (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

الاصول التاريخية للمغول وحملاتهم العسكرية على المشرق الاسلامي في كتاب "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" للملك الاشرف الغساني (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م)

أ.د. سعاد هادي حسن الطائي

جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

The historical origins of the Mongols and their military campaigns against the Islamic East in the book"Aleasjad Amasbuk Waljawhar Almahkuk fi Tabaqat Alkhulafa' Walmuluki " by King Al-Ashraf Al-Ghassani (D. 803 AH/ AD)

Suaad Hadi Hassan Al-Taai
University of Baghdad/College of Education, Ibn Rushd For Humanities, Department of History
suaad.hadi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Abstract

A large number of historians and researchers have been interested in studying the history of the Mongols, explaining their historical origins and areas of residence, the beginning of the emergence of Genghis Khan (D. 624 AH / 1227 AD), and the military campaigns that he launched against the cities of the Islamic East, and the accompanying acts of sabotage, destruction and killing, which affected the change in the lives of the population economically, geographically and politically. And socially, we find that most historians agree on most of the accounts that were mentioned about the Mongols with a slight difference, and the historian King Al-Ashraf Al-Ghassani (D. 803 AH /1401 AD) is in the forefront of them. An important historical book. Al-Ghassani sheds light on the beginning of the emergence of the Mongols and Genghis Khan, in his book "The Casted Knuckles and the Woven Essence in the Layers of Caliphs and Kings", and carefully discussed the nature of his relationship with Alaeddin Khwarizmshah (D. 617 AH / 1220 AD), which worsened as a result of the measures he took with the merchants whom Genghis Khan sent to the Islamic East. Which was the reason for him declaring war against him and his invasion of most of the cities of the Islamic East with wide military campaigns, and he also indicated the continuation of the conflict between the Mongols and Jalal al-Din Mankabarti and their pursuit of him until his death in the year 628 AH / 1230 AD.

. **Keywords**: school, mosque, Genghis Khan, Tatars, castle, sea, princes.

الملخص

اهتم عدد كبير من المؤرخين والباحثين بدراسة تاريخ المغول وبيان اصولهم التاريخية ومناطق سكنهم ،وبداية ظهور جنكيزخان (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م) ،والحملات العسكرية التي شنها على مدن المشرق الاسلامي ،وما رافقها من اعمال تخريب وتدمير وقتل ،مما اثر في تغيير حياة السكان اقتصاديا وجغرافيا وسياسيا واجتماعيا ،ونجد معظم المؤرخين يتفقون على معظم الروايات التي ذكرت عن المغول مع اختلاف بسيط ،ويعد المؤرخ الملك الاشرف الغساني (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠١ م)، في مقدمتهم ،فعلى الرغم من كونه تولى حكم اليمن نجده عالم ومؤرخ بنى مؤسسات تعليمة وعمرانية عدة مع تأليفه لعدد من الكتب التاريخية المهمة . سلط الغساني في كتابه " العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" الضوء على بداية ظهور المغول وجنكيزخان ،وناقش بدقة طبيعة علاقته مع علاء الدين خوارزمشاه (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠ م) ،والتي تأزمت نتيجة الاجراءات التي اتخذها مع التجار الذين بعثهم جنكيزخان للمشرق الاسلامي والتي كانت سببا في اعلانه الحرب ضده واجتياحه لمعظم مدن المشرق الاسلامي بحملات عسكرية واسعة ،كما انه اشار الى استمرار الصراع بين المغول وجلال الدين منكبرتي وملاحقتهم له حتى وفاته سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م .

الكلمات المفتاحية: المدرسة،المسجد،جنكيزخان،التتر، قلعة،البحر، الامراء.

المقدمة :

اسهم معظم المؤرخين والباحثين في البحث والدراسة المستفيضة عن تاريخ المغول السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي ، ودراسة اسباب حملات جنكيزخان (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م) العسكرية على مدن المشرق الاسلامي ،والتي احدثت تغيير جذري في خارطة العالم الاسلامي ولاسيما بعد نهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨ م.وعلى الرغم من الاذى الذي لحق بعدد من المدن الاسلامية نتيجة هذا الاجتياح غير انها سرعان ما استعادت رونقها واعادة اعمارها ،بل نجد ان المغول خضعوا لحضارات الشعوب التي خضعوا لهم فأندمجوا مع سكانها ،لذا اهتموا ببناء امبراطورية واسعة الارجاء واستقطبوا العناصر الكفوءة بغض النظر عن ديانتهم وقوميتهم . اسهم الملك الاشرف الغساني (ت٨٠٣هـ/١٤٠١م) في تدوين معلومات مهمة عن تاريخ المغول في كتابه " العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" ،وعلى الرغم من انه كرر معلومات ذكرها قبله عدد من المؤرخين غير انه اشار الى وجه نظره حيالهم معبرا عن قسوة حملاتهم العسكرية واسبابها ،غير انه لم يطلق عليهم اسم المغول وانما التتر وهو امر ليس بالجديد فعدد كبير من المؤرخين اطلقوا عليهم هذه التسمية ،على الرغم ان قبائل المغول تختلف عن قبائل التتر ،كما انه لم يشر الى القبائل المغولية بل اكتفى بذكر بداية ظهورهم واهم الحملات العسكرية التي شنها جنكيزخان على مدن المشرق الاسلامي .ناقش الغساني بشكل مستفيض العلاقات السياسية بين جنكيزخان وعلاء الدين خوارزمشاه (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) واسباب تأزمها ،وواصل ابنه اوكتاي خان (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٨-١٢٤١م)، عندما تولى الحكم من بعده حملاته العسكرية على ممتلكات الامارة الخوارزمية(٤٩٠ – ٦٢٨هـ /١٠٩٦ – ١٢٣٠م) وملاحقة اخر حكامها جلال الدين منكبرتي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) ،مما يؤكد استمرار المخطط التوسعي للمغول . كما سلط البحث الضوء على حياة الملك الاشرف الغساني واهتمامه بالعلم والعلماء والعمران واهم مصنفاته في التاريخ .

***اولا :نبذة تاريخية عن الملك الاشرف الغساني(٧٦١ – ٨٠٣ هـ /١٣٦٠ – ١٤٠١ م) :**

هو إسماعيل الأشرف بن العباس الأفضل ابن المجاهد علي ابن المؤيد داود، من أبناء علي بن رسول، يعود نسبه الى جبلة ابن الأيهم، والغساني ملك يماني من ملوك الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م) (الزركلي،٢٠٠٢،ج١، ص٣١٦؛ البغدادي ، د.ت،ج٢، ص١٠١؛ كحالة،د. ت، ج٢،ص٢٧٥). وذكره ابن العماد الحنبلي قائلا:"**الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عبّاس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفّر عمر بن المنصور علي بن رسول اليمني ممهد الدّين** "(ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩،ص٤٥) .

لم ترد معلومات دقيقة عن حياة الأشرف قبل أن يصبح ملكا، وكانت بداية حكمه في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شعبان سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م بعد وفاة أبيه الملك الأفضل وهو ابن ست عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً، وبقي في السلطة ٢٥ سنة(الغساني،١٩٧٥،ص٧٦؛ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩،ص٤٥ ؛الزركلي،٢٠٠٢،ج١ ،٣١٦) ذُكر انه كان بداية حياته متهورا غير انه اقبل فيما بعد على حياة العلم والعلماء واحب جمع الكتب (ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩،ص٤٥).عاش محمود السيرة، استقام له الملك، أثنى عليه مؤرخوه ووصفوه بالحلم والعطف وحسن السياسة (الزركلي،٢٠٠٢،ج ١،٣١٦). وكان مهيبا أديبا حليما وادعا كريما عطوفا رحيما واسع الحلم كثير العفو متحرجاً عن سفك الدماء الا بحق، شديد البأس حسن السياسة كثير الأبتسام محبوباً من قبل الرعية، وكان يكرم الغرباء ويبالغ في الإحسان اليهم، ومدحه عدد من الشعراء بقصائد عديدة(الغساني،١٩٧٥ ،ص٧٦-٧٧؛ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩، ص٤٥).ويعد من أحسن ملوك اليمن سياسة وضبطا للامور شهدت اليمن في عهده رخاءا كبيرا(الغساني،١٩٧٥ ،ص٧٦-٧٧؛ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩، ص٤٥).قال عنه الخزرجي:" **وكان رحمه الله خير ملك وسيرته سيرة جواداً كريماً هماماً حليماً رحيماً ورؤفاً مشفقاً عطوفاً ولم يكن في ملوك العصر مثله** "(الخزرجي،١٩٨٣،ج٢،ص٢٥٩-٢٦٠).

أشار اليه الزركلي قائلا:" **اشتغل بفنون من الأدب والتاريخ والحساب. وألف كتبا كانت طريقته فيها أن يختار الموضوع ويجمع مادته أو بعضها ثم يأمر من يتمه ويعرضه عليه فما ارتضاه أثبته وما أباه حذفه وما وجده ناقصا أكمله. وأكثر من جمع الكتب. وله نظم حسن**... "(الزركلي،٢٠٠٢،ج١،ص٣١٧) .له انجازات في مجال العمران والبناء منها بنائه جامع المملاح على باب زبيد القبلي سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨م، ورتب فيه اماما ومؤذنين وأربعة فراشين ومعلماً وأيتاما يتعلمون القرآن ،وخطيبا ومدرسا على مذهب الامام الشافعي ،ومعيدا ومدرسا على مذهب الامام أبي حنيفة، ومعيدا ومدرسا في الحديث ومقرئاً للقرآن في القراءات السبع، ومدرسا في النحو والادب ومدرسا في الفرائض والحساب ،ومع كل مدرس جماعة يتعلمون على يديه، وانشأ الأشرف في سنة ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨م جامعا في ناحية القوز من زبيد فاقيمت به الجمعة لاول مرة في السابع والعشرين من ذي القعدة(الغساني، ١٩٧٥، ص٦٤-٦٧ ؛ الزركلي،٢٠٠٢،ج١،ص٣١٧).

كما أمر في سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ م بعمارة المدرسة المنصورية لتدريس الفقه الحنفي والحديث والسيفية الصغرى والنظامية والعفيفية والميكائيلية، ومسجد الاتابك سنقر ،ومسجد نجم ،ومسجد الطواشي فاخر ،ومسجد الطيرة ،ومسجد السلطان عباس الظفاري، ومسجد أردمر ،ومسجد الساباط ،ومسجد بن الهمام ،ومسجد الخيزران، ومسجد خيلخان، ومدرسة التربية، ومسجد الصياد ، ومسجد الرند ،ومسجد القرتب وسبيله والسبيل القاتني على باب سهام وسبيل المنظر وسبيل فشا، كما احدث السبيل الذي على باب الجامع بزبيد، وكانت كلها دائرة في عهده فعمرها (الغساني،١٩٧٥،ص٦٧).وامر بانشاء مدرسة في مدينة تعز أوقف عليها أوقافا جيدة وأوصل اليها الماء، وابتنى فيها حوضا وبركة لمن يستقي الماء ، ثم رتب فيها اماما ومؤذناً وقيما ومدرسا للشريعة ،ومدرسا للحديث ومدرسا في النحو، ومدرسا في الفرائض وفي كل فن عدة من الطلبة ،وخصص لهم النفقات لسد احتياجاتهم ،وابتنى بها المرافق الخاصة وأوقف فيها عدة من نفائس الكتب في كل فن وعرفت بالمدرسة الاشرفية (الغساني،١٩٧٥،ص٦٦ ؛ الزركلي، ٢٠٠٥،ج١،ص٣١٧) **وهذا ما أكده** الخزرجي قائلا :" **ومن مآثره الدينية التي أنشأها في مدينة تعز وخارجها مدرسة حسنة الشكل لها بابان شرقي وغربي وباب يماني ومقدم فسيح وشمسه رحيبة وتكوين عجيب وابتنى فيها مطهراً نفسياً ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومعيداً وعدة من الطلبة ومدرساً ... ومدرساً في النحو والأدب وجماعة من الطلبة أيضاً ووقف فيها عدة من الكتب النفائس في كل فن وأوقف على المدرسة المذكورة وعلى المرتبين فيها وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم وهو الذي زاد الزيادة الشرقية التي في جامع عدنية بمدينة تعز من الناحية الشرقية وهي زيادة حسنة نفيسة انتفع بها جماعة الجامع المذكور نفعاً عظيماً وابتنى جامع قرية مملاح بزبيد وأنشأ فيما بين قرية السلامة وحيس ثلاثة سبل وهو الذي أحدث بستان سريا قوس الأعلى من وادي زبيد وغرس فيه غرائب أنواع الشجر وأول من زرع الأرز بوادي زبيد وكان رحمه الله غاية في الظرف واللطف ومكارم الأخلاق وجمال الصورة وحسن السيرة والتودد إلى الخلق ومحبة العلماء والعلم" (الخزرجي،١٩٨٣،ج٢،ص٢٦٠)**.ان اهتمام الملك الاشرف بالعلم والعلماء جعله حريصا على بناء عدد من المؤسسات التعليمية والعلمية فضلا عن اهتمامه بالعمران مما يعكس لنا ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة توضحت في مؤلفاته .كان مشتغلا بفنون كثيرة مثل النحو والاعراب والآداب والفقه والتواريخ والأنساب والحساب، وكان محبا لجمع الكتب ،غير انه اهتم بالتاريخ كثيرا(الغساني،١٩٧٥،ص٧٣).وله عدة تصانيف مشهورة منها كتاب العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقاته الخلفاء والملوك، و العقود اللؤلؤية في اخبار الدولة الرسولية ،وله مصنفات في النحو وفي الأدب ومصنفات في علم الفلك وغير ذلك (الغساني،١٩٧٥ ، ص٧٤ ؛ البغدادي ، د.ت،ج٢، ص١٠١؛ كحالة ،د. ت، ج٢،ص٢٧٥). وله كتاب فاكهة الزمن ومفاكهة الآدب والفتن في أخبار من ملك اليمن (شاهين،٢٠١٩،ص١٠٤). لكن من الثابت ان "العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية" المذكور هو من مؤلفات علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ/ ١٤١٠ م) نفسه فلماذا نسبه للأشرف ،ربما محاباة، أو أنه كان ينتظر مكافأة من الأشرف، وليكن ذلك على سبيل الافتراض فلماذا لم ينسب الخزرجي اليه كتاباً آخر من مصنفاته غير العقود اللؤلؤية مثلاً؟ من الجدير بالذكر ان كتاب العقود اللؤلؤية هو قطعا من مؤلفات الخزرجي كما يتضح ذلك من اسلوبه ومادته والطريقة التي دون فيها، كما انه ذكر فيه ترجمة الملك الأشرف كاملة ومعظم اعماله واخباره ووفاته، ولعله اراد الإشارة الى أن الأشرف أوحى له بفكرة الكتاب، أو اسهم فيه ، أو أمر بتأليفه، أو ان الخزرجي أراد أن يقدمه للأشرف على غرار كتاب " شرح التنبيه " و " الاسعاد " (الغساني،١٩٧٥،ص٧٤).

في آواخر شهر المحرم من سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠١م أصيب الملك الأشرف بمرض ،ولم تشر المصادر التاريخية الى نوع مرضه،مما اثار قلق اهل اليمن ، غير انه سرعان ما تحسنت صحته ،وبعد مدة عاوده المرض في يوم الخميس الثاني من ربيع الأول فأقام في مدينة حيس عدة ايام بسبب الألم الذي بجسده ، ثم سار إلى تعز فكان دخوله اليها ليلة الأربعاء الثامن من ربيع الأول فأقام في دار الوعد عشرة أيام مريضاً ثم توفي في ليلة السبت الثامن عشر من الشهر المذكور سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠١م ،دُفن في مدرسته الاشرفية التي انشأها في ناحية عدنية في تعز واستمرت القراءة عليه سبعة أيام وصلى عليه في سائر مدن اليمن وقرئ عليه في كل مدينة سبعة أيام ورثاه جماعة من الشعراء(الخزرجي،١٩٨٣،ج٢، ص٢٥٩؛ الغساني،١٩٧٥،ص٧٧؛ ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩، ص٤٥؛ كحالة، د. ت، ج٢،ص٢٧٥). في حين ذكر البغدادي ان وفاته كانت سنة ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٢م (البغدادي ، د.ت،ج٢، ص١٠١) ،بينما اجمع اكثر المؤرخين على وفاته سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠١م لذا نؤيد هذا التاريخ لاتفاق الاغلب عليه. واشار ابن العماد الحنبلي الى انه توفي ولم يكمل الستين من عمره(ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩، ص٤٥)،وقال:"**امتدحته لما قدمت بلده فأثابني،أحسن الله جزاءه**"(ابن العماد الحنبلي،١٩٩٣،ج٩،ص٤٥). وفي السياق نفسه نجد ان الغساني اعتمد في تدوين معلوماته عن المغول في كتابه هذا على عدد من

المؤرخين وفي مقدمتهم عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ/ ١٣٣١ م) ،و ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م)،و ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) وغيرهم.

***ثانيا :روايات الغساني عن الاصول التاريخية للمغول وبداية ظهورهم بزعامة جنكيزخان (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م) :**

تحدث الغساني عن الاصول التاريخية للمغول لكنه لم يسهب في ذلك وانما تحدث عنهم مختصرا فقال:"**كانو يسكنون البراري ومنشأهم بموضع يسمى أرغون وهم المشهورون بين طوائف الترك بالمكر والغدر ليس فيهم من الايمان ذكر ولا اعتقاد بل دينهم كفر محض وربما سجدوا للشمس وعبدوا النار والوثن وكان جنكيزخان ملكهم يطيعونه طاعة لا مزيد عليها** ...."(الغساني،١٩٧٥،ص٤٣٠).

لم يورد الغساني معلومات جديدة عن الاصول التاريخية للمغول وانما هي اضافة لما ذكره غيره من المؤرخين غير ان موضع ارغون ربما كان يقصد به نهر ارخون ،اذ لم نعثر على هكذا موضع . ولاهمية ذلك لابد ان نعرج على ذكر اهمية هذا النهر أرخن، أو– أرخون – ، Orkhun: وهو من أهم الأنهار في منغوليا، طوله ٤٨٣ كم، ينبع من جبال خنجاي، ويجري شمالا بشرق ليصب في نهر سلنجا عند حدودها الجنوبية مع روسيا،و سميت النقوش والكتابات التي عثر عليها قرب هذا النهر بالكتابة الأورخونية ،وهي من أهم الأثار العائدة للأتراك المستقرين في الشرق عند حدود الصين والتي تعد أقدم نموذج للغة والأدب التركي (قوانغ ،١٩٨٧،ص٧٦،٧٧؛ الخشاب ،١٩٦٤ ، ص٣٢ ،٤٤؛ الزوكة، ١٩٩٨ ،ص٢٧٢؛العريني، ١٩٨٦،ص٨ ،٩؛ حطيط،١٩٩٤،ص٥؛ سليمان، ١٩٨٤ ، ص١٣؛ صفا،١٩٨٨ ، ص١٠ ،١٣،١٤ ؛ الموسوعة العربية الميسرة،٢٠١٠ ، مج١،ص ٥٠٧؛ زنكي،٢٠١٠،ص٤٩٣).اشار الغساني الى ظهور المغول واطلق عليهم اسم التتر قائلا:" **كان ظهور التتر على بلاد الإسلام، وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين بينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة اشهر** .."(الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٠) والتتر قبائل تختلف عن قبائل المغول فهم التتر ،أو" التتار" هم طائفة كبيرة تتكون من قبائل كثيرة ، ويتشعبون الى شعب عدة ، كان التتار يسكنون المنطقة التي تحد شمالا بنهري أورخون وسيلينجا ومملكة القيرغيز، وشرقا بأقليم الخطا أي "الصين الشمالية وغربا بممالك الأويغور ، وجنوبا بأقليم التبت ، وبشكل عام كانوا يعيشون في الجنوب الغربي من بحيرة بايكال حتى بحيرة كيرولين ، وهم من اشد قبائل الجنس الأصفر بطشا في اقاليم آسيا الشمالية ، وقبل ظهور جنكيزخان كانت معظم القبائل التركية وقبائل الجنس الأصفر البدوية خاضعة للمغول واطلق عليهم اسم "تاتار"، أو " تتر" ، وهذا يعني ان التتار كانوا قبائل مستقلة عن المغول ، فعندما ظهر جنكيزخان على مسرح السياسة بدأ التتار يعادون المغول ،وكان جنكيزخان يعدهم من الد اعدائه ، ولهذا حاربهم وامر جنوده بقتل كل تتري معتبرا انهم سبب الفتنة والفساد الذي كان متوارثا عند المغول ،غير انه وبعد انتصار جنكيزخان على التتار اطلق اسمهم عليه وعلى اتباعه، ان اطلاق تسمية التتار بشكل واسع النطاق يعود الى قوة التتار الحقيقيين الذين كانوا يعيشون حول بحيرة "بويرنور" Bouir Nor ، وهناك ثلاثة انواع من التتار : منهم التتار البيض وكانوا يجاورون الصين جنوبا ، والتتار السود يستقرون في شمالهم ، وفي شمال هؤلاء عاش التتار المتوحشون ويطلق عليهم المغول شعوب الغابة ، وكان التتار السود بدو، اما المتوحشون فكانوا يعيشون على الصيد(بارتولد، د.ت، ص١٥٢– ص١٥٤؛ فهمي ، ١٩٨١، ص١٦– ١٨ ؛ عكاشة ، ١٩٩٢ ، ص٧٨– ٧٩ ؛ كريم ، ١٩٩٤، ص٧ – ص٨ و ص٣١ و ص١٠٤ ؛ الصياد ، د.ت ، ص٢٥– ٢٧ ؛ بروكلمان، ١٩٦١ ، ج١، ص٢٦١؛ اقبال، ١٩٨٩ ، ص،٣٤٥، ٣٤٦ ؛الطائي،٢٠٢٣،ص٢٩١).

*** ثالثا : روايات الغساني عن الصراع بين المغول وقبائل الخطا سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م:**

تحدث الغساني عن الصراع الذي نشب بين قبائل الخطا والمغول ودور الخوارزميين في ذلك مبينا اثر هذا الصراع على العالم الاسلامي وما تمخض عنه .فقال : "**وكانت طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من حدود الصين قديماً، ونزلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة عظيمة فلما سمعوا بما فعله خوارزم شاه بالخطا (ساروا إلى الخطا) مع ملكهم كلشي خان فلما سمع بهم ملك الخطا ارسل إلى خوارزم شاه،يقول له أما ما كان منك من اخذ بلادنا وقتل رجالنا فمعفو عنه وقد اتانا من هذا العدو ما لا قبل لنا به فان انتصروا علينا وملكوا بلادنا فلا دافع لهم عنك، والمصلحة [أن تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك على اننا اذا ظفرنا بهم لا نتعرض] إلى ما أخذت من البلاد ونقنع بما في أيدينا. وارسل اليه كشلي خان ملك التتر يقول له ان هؤلاء الخطا اعداؤك واعداء ابائك واعداؤنا فساعدنا عليهم ونحن نحلف لك انا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك وتقنع بالمواضع التي ينزلونها بالمراعي التي يرعونها فاجاب كلا منهما إلى ما طلب**" (الغساني،١٩٧٥،ص٣٢٩–٣٣٠).

وسار في عساكره إلى ان نزل قريباً منهما ولم يخالط احدا منهما فكانت كل طائفة تظن انه معها، واستمر القتال بين المغول وقبائل الخطا ، حتى تمكن المغول من الحاق الهزيمة بهم عندها اعلن خوارزمشاه تأييده للمغول وامر جنده بالقتل والنهب ولم يترك احداً ينجو منهم فلم يسلم منهم الا عدد قليل منهم مع ملكهم في موضع من حدود الترك ، كما انضم إلى خوارزمشاه عدد منهم قاقتلو معه في جيشه ، فبعث خوارزمشاه إلى كشلي خان ملك المغول رسالة يعلمه فيها انه حضر لمساعدته واكد له انه لولا مساعدته لهم لما تمكنوا من تحقيق النصر، فاعترف له كشلي خان بذلك ، ثم ارسل خوارزمشاه اليه يطلب منه تقسيم بلاد الخطا بينهما (الغساني ،١٩٧٥،ص٣٣٠)، فقال له" **ليس لك عندي الا السيف، ولست اقوى شوكة من الخطا فان قنعت بالمسألة والا سرت اليك وفعلت بك أشد مما فعلته بالخطا" (الغساني،١٩٧٥،ص٣٣٠)**.ثم استعد وسار حتى نزل قريبا منه، فعلم خوارزمشاه انه غير قادر على مواجهته، فكان يراوغه فاذا سار هو إلى موضع، قصد خوارزمشاه أهله واثقاله فنهبها واذا سمع ان طائفة سارت عن معظمهم سار اليه فاوقع بها (الغساني،١٩٧٥،ص٣٣٠)، فارسل اليه كشلي خان قائلا له :" **ليس هذا فعل الملوك ولكن هذا فعل اللصوص، فان كنت سلطاناً كما تقول فيجب أن نلتقي فاما هزمتني والا هزمتك، وأينا غلب صاحبه استولى على بلاده وملكها. ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخرين الذين ملكهم جنجز خان والتتر الأول فاشتغل بهم كشلي خان عن خوارزم شاه فعبر النهر إلى خراسان"(الغساني،١٩٧٥،ص٣٣٠-٣٣١)**.وضح الغساني هنا محاولات خوارزمشاه لكسب الطرف الاقوى في الحرب تحقيقا لمصالحه الشخصية وتفاديا للخطر لكنه فشل في نهاية الامر فلم يستطع كسب قبائل الخطا ،وفي الوقت نفسه خسر تحالفه مع المغول.

***رابعا :روايات الغساني عن الحملات العسكرية لجنكيزخان (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م) على المشرق الاسلامي وعلاقته مع علاء الدين خوارزمشاه (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) :**

اشار الغساني الى معلومات مهمة عن الحملات العسكرية التي شنها جنكيزخان على مدن المشرق الاسلامي مبينا اهميتها بالنسبة للمغول وللقوى السياسية المعاصرة لهم. فقال :" **وكان قد استولى على كثير من الممالك الاسلامية كسمرقند وخراسان وغير ذلك ..."(الغساني،١٩٧٥،ص٤٣٠)**. وناقش الغساني بشكل مفصل في بداية حديثه عن جنكيزخان عن علاقته مع علاء الدين خوارزمشاه وتأزم العلاقات بينهما دون ان يشير الى السفارة التي بعثها جنكيزخان له لعقد معاهدة بينهما لذا نرى ضروة الاشارة اليها .

بعث جنكيز خان رسله سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م الى خوارزمشاه علاء الدين محمد في بخارى، وكان في مقدمتهم محمود يلواج الخوارزمي، وعلي خواجه البخاري، ويوسف كتكا الاتراري، وارسل جنكيز خان اليه معهم الكثير من الهدايا الثمينة من بلاد الترك مثل النقر المعادن ونصب الختو، ونوافج المسك، واحجار اليشب، والثياب التي تسمى طرقوا التي تؤخذ من صوف الجمل الابيض يباع الثوب منها بخمسين ديناراً أو أكثر، التي لا تهدى إلا للسلاطين ،فأستقبل خوارزمشاه علاء الدين محمد رسل جنكيز خان احسن استقبال وعلى رأسهم محمود يلواج وبمن جاء معه مرحباً بقدومهم ، فقدم محمود يلواج رسالة جنكيز خان اليه التي استهلها بأطيب الكلمات واجملها. وكان مضمون الرسالة هو طلب المسالمة والموادعة ، وسلوك مسلك المجاملة ومن المهم هنا ان نذكر ان هذه الرسالة تحمل في طياتها ومضمونها كل معاني التهديد والوعيد وفي اكثر من موضع؛ إذ ذكر جنكيز خان ان خوارزمشاه علاء الدين محمد هو بمنزلة الابن عنده، وهذا معناه وبكل وضوح التبعية له، إذ إن العلاقة بين الابن وابيه، وبين الاخ الصغير والكبير، وبين العم وابن الاخ، فمعظم هذه العلاقات تحمل في مضمونها التبعية بمختلف انواعها، وكانت تدون في المعاهدات بين أمراء آسيا، الذين كانوا لا يعرفون معنى للعلاقات السياسية التي تقوم على أساس مبدأ المساواة بين معظم الاطراف المتحالفة، فضلاً عن ان جنكيز خان تعمد في الاشارة في رسالته لخوارزمشاه علاء الدين محمد واخباره بانه سيطر على الصين واخضع معظم العناصر التركية تحت سلطته واصبحوا رعاياه، واستطاع محمود يلواج من اقناع خوارزمشاه علاء الدين محمد الى ما التمس اليه جنكيز خان من أمر المهادنة، وابرمت عقود الصلح بينهما، وسُر جنكيز خان بذلك وتعهد الطرفان بمد جسور الصداقة والمودة والدفاع المشترك بينهما، ويصادقا من صادقهما، ويعاديا من عاداهما، وبهذه الصورة دامت الصداقة والوفاق بين الطرفين، وتعاهدا على ان لا يضر احدهما الآخر(الطائي ، ٢٠١٣ ،ص٩٧-١٠٣).غير ان العلاقات بينهما سرعان ما تأزمت بسبب سوء تصرف علاء الدين خوارزمشاه حيال التجار الذين بعثهم جنكيزخان الى مدينة اترار. بعث ملكهم وزعيمهم جنكيزخان عددا من التجار وهم يحملون كثير من النقرة وغيرها إلى سمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابا للكسوة ،وعندما دخلوا بلاد الإسلام ارسل أمير تلك المدينة إلى خوارزمشاه يعلمه بهم، وبما معهم من الأموال، فأمر خوارزم شاه بقتلهم، واخذ ما معهم فقتلهم وسير ما معهم من المال إلى خوارزمشاه ففرقه على تجار بخارى وسمرقند واخذ ثمنه منهم ، ثم ارسل علاء الدين خوارزمشاه جواسيس إلى جنكز خان لينظروا ما معه من الجند، فعادوا

بعد مدة طويلة، واخبروه بكثرة عددهم ، وانهم اصبر خلق الله على القتال ولا يعرفون هزيمة، فندم خوارزمشاه على قتل اصحابهم، في اثناء ذلك وصل اليه رسول من جنكز خان ومعه عدد من أصحابه يهدده بسبب قتله للتجار (الغساني،١٩٧٥،ص٣٠٧-٣٧١).

قائلا له:" **قتلت تجاري واخذت مالي منهم واستعد للحرب فها انا واصل اليك" (الغساني،١٩٧٥،ص٣٧١)** . وعندما سمع بذلك خوارزمشاه امر بقتل الرسول وأمر بحلق لحى أصحابه واعادهم إلى جنكيز خان لاخباره بما حدث، ثم تجهز خوارزمشاه وسار في اثرهم، وقطع مسيرة أربعة اشهر ثم وصل إلى طرف أماكنهم فلم ير الا النساء والصبيان فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية، واستعدوا للسير لمواجهة واحد من ملوك الترك، فهزموه وغنموا امواله وعادوا فوصلهم الخبر في الطريق بما فعل خوارزمشاه مما دفعهم الى الاستمرار في مسيرهم فادركوه عند مساكنهم ،فأشتد القتال بينهما واستمر مدة ثلاثة أيام فقتل من الطرفين ما لا يعد ولا يحصى،ولم يهزم احد من الطرفين، فلما كانت الليلة الرابعة افترقوا وقتل من المسلمين نحو عشرين الف، وقتل من المغول عدد كبير ايضا، ولم يحضر القتال منهم الا ابن الملك مع عدد من الجند ، فلما افترقوا عادوا إلى جنكيز خان وعاد المسلمون إلى مدينة بخارى ،وشعر خوارزمشاه بالضعف (الغساني،١٩٧٥، ص٣٧٢-٣٧٣) . فأمر أهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر، وجعل في بخارى عشرين الف فارس، وطلب منهم حماية مدينتهم ، واخبرهم انه سوف يجمع الجند من خوارزم وخراسان وسائر بلاد الإسلام ويعود اليهم، ثم رحل إلى خراسان فعبر نهر جيحون، ووصل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ،اما جنكيز خان فانه استعد للقتال، وسار إلى بخارى بعد خمسة اشهر من وصول خوارزمشاه، ففرض الحصار عليها وقاتلها ثلاثة أيام قتالاً شديداً وضعف الجيش الخوارزمي، فتركوا المدينة في الليل متوجهين إلى خراسان، وفي الصباح ارسل أهل البلد الى القاضي بدر الدين بن قاضي خان لطلب الأمان لهم فاعطوهم الأمان وفتحت أبواب المدينة في الرابع من ذي الحجة من سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م فدخلوا المدينة، ودخل عسكر جنكز خان بنفسه واحاط بالقلعة وكان فيها نحو أربعمائة من عسكر السلطان فاعتصموا بها فأمر بردم الخندق بالتراب والاخشاب، ثم تابعوا سيرهم إلى القلعة وبذلوا جهدا كبيرا حتى وصلوها ، واقاموا اثني عشر يوماً يقاتلون التتر واهل المدينة ووصل النقابون إلى سور القلعة فنقبوه ودخلوا عليهم، فقاتلهم المسلمون حتى قتلوا عن آخرهم(الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٢-٣٧٣). واضاف الغساني قائلا :" **فلما فرغوا من القتال أمر جنكز خان باحضار وجوه أهل البلد وقال اريد منكم النقرة التي باعكم اياها خوارزمشاه فانها لي، ثم احضروا ما عندهم [منها بين يديه] ثم امرهم بالخروج من البلد فخرجوا بانفسهم، فاسروهم وعذوبهم بانواع العذاب، يطلبون منهم المال. ودخل التتر المدينة فنهبوها وقتلوا أهلها قتلا ذريعا ولم يبقوا على احد، واقتسموا النساء والذراري وفجروا بالنساء علانية وطرحوا النار في البلد فاحرقوها وخربوا المساجد والمدارس. فأصبحت خاوية على عروشها ثم دخلوا سمرقند، واستصحبوا منهم من سلم من القتل فساروا بهم مشاة على اقبح صورة، وقتلوا كل من عجز عن المشي فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة ارسالا في أول يوم وفي اليوم الثاني وصل الرجالة والأسارى والاثقال واحاطوا بالبلد، فلما رأى أهل البلد سوادهم استعظموهم وكان في البلد خمسون الفا من الخوارزمية خارجاً عن أهل البلد فخرج اليهم أهل البلد، فقاتلوهم قتالاً شديداً فجعلوا لهم كسنا على بعد من البلد وانشبوا القتال فكانوا ينهزمون قليلاً قليلاً حتى جاوزا الكمين فخرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون عليهم فقتلوا عن آخرهم وكانوا نحوا من سبعين الفا فايقن أهل البلد بالهلاك وطلبوا الأمان.... فاجابوهم إلى ذلك، ففتحوا البلد، ففعلوا بهم كما فعلوا بأهل بخارا من النهب والقتل والسبي والخراب والحرائق وعذبوا الناس بانواع العذاب فلما فرغوا سير جنكزخان عشرين الف فارس وقال لهم: اطلبوا خوارزمشاه، اينما كان ولو تعلق بالسماء حتى تأخذوه ، فساروا نحو خراسان وعبروا النهر وهذه الطائفة من التتر تسمى المغربة** "(الغساني، ١٩٧٥،ص٣٧٣-٣٧٤). وعن دخول جنكيزخان مدينة بخارى سنة ٦١٧ هـ/١٢٢٠م ذُكر عنها :" **بلدة فضلها لا يجارى ، قبة الإيمان، وكرسي ملوك بني ساسان، مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزاهد، فدخل جنكيزخان إلى المدينة، وطاف بها على هيبة وسكينة، حتى انتهى إلى باب الجامع، فرأى محلاً شريفاً، ومعبداً واسعاً لطيفاً، فقال: هذا بيت السلطان؟. فقالوا: بل بيت الرحمن** .. " (القرماني،١٩٩٢،ج٢، ص٤٩١-٤٩٣؛ الطائي ،٢٠٢٣،ص ٢٩٢). وذُكر ان مدينة بخارى حافظت على مكانتها الرفيعة في اوائل العصور الوسطى، ولكن في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م تعرضت للغزو المغولي فنهبت المدينة ودُمرت عن آخرها، ولم تنهض لمدة قرن واكثر، وعندما زارها الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م)، ونزل في ربض فتح أبار ، وجد معظم الجوامع والمدارس والاسواق مدمرة كما كانت عليه عندما غادرها جنكيزخان، وفي الواقع انها لم تستعد ازدهارها حتى عهد تيمورلنك (ت ٨٠٨هـ/ 1405 م) اذ اتخذ من سمرقند عاصمة له واستعادت بخارى شيئاً فشيئاً رونقها (لسترنج، ١٩٥٤ ،ص٥٠٦ ؛ Al-Taai,2020,p. 15085).

واشار الغساني الى ان علاء الدين خوارزمشاه لم يشعر بوصولهم الا صاروا معه على أرض واحدة، فرحل لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصد مدينة نيسابور فلم يستقر بها حتى وصله الخبر بوصول المغول اليها في طلبه، ولم يتعرضوا في سيرهم هذا إلى شيء من الاذى لا بقتل ولا بنهب، فلما علم بهم خوارزمشاه رحل إلى مازندران ثم إلى الري ثم سار فرحلوا في اثره ولم يعرجوا على نيسابور، فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها حتى وصل بحر طبرستان فركب هو واصحابه في السفن، فوصل المغول فلما رأوا خوارزمشاه دخلو البحر وقفوا على الساحل، فلما فقدوا الامل في العثور عليه منه توجهوا الى مدينة الري ،وذكر ان خوارزمشاه سار من مازندران إلى الري ثم سار منها إلى همذان والمغول في اثره، ثم خرج من همذان في بعض خاصته فكان آخر العهد به فقيل انه عاد إلى مازندران، وركب في البحر وكانت له قلعة في البحر فقصدها فتوفي فيها ، وذكر توفي في مدينة همذان واخفي خبر موته، وذكر دخل حدود بلاد فارس وتوفي هناك (الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٤-٣٧٥). واضاف الغساني قائلا :" **وكان اعظم الأمور على المسلمين أن سلطانهم عدم ولا عرف له خبر يقين، واصبح العراق وخراسان سائبا ولا مانع له ولا مدافع عنه. والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد: واذا مروا على مدينة أو قرية قتلوا أهلها وسبوا نساءها ونهبوا واحرقوا ما بقي فيها، فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقون فيه النار وكانت مدة ملك خوارزمشاه احدى وعشرون سنة وشهوراً**"(الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٥).ووصف الغساني علاء الدين خوارزمشاه قائلا:" **وكان ملكا عالي الهمة لم يملك بعد السلجوقية مثله احد فانه ملك من حد العراق إلى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند، وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخراسان، وبعض فارس. وكان عالماً فاضلاً عارفاً بالفقه والاصول وغيرهما، وكان مكرماً للعلماء محسناً اليهم كثير المجالسة لهم وكان صبوراً على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في ملك يدبره وعدو يقهره وكان عادلاً في الرعايا محسناً اليهم**"(الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٥). واسترسل الغساني في حديثه عن المغول ،فعندما فقد المغول الامل في العثور على خوارزمشاه عادوا فقصدوا مازندران، فسيطروا عليها في اسرع وقت مع حصانتها وامتناع قلاعها، وصعوبة الدخول اليها فقتلوا وسبوا واحرقوا ونهبوا البلاد ،ثم توجهوا نحو الري فصادفوا في الطريق اليها والدة خوارزمشاه ونساءه واموالهم وذخائرهم، فاخذوا ذلك جميعه، وكان فيه من الاعلاق النفيسة ما لم يسمع بمثله من كل غريب من المتاع ونفيس من الجواهر فرأوا ما ملأ قلوبهم وعيونهم، وارسل كل ذلك إلى جنكيز خان وكان مقيماً في سمرقند ،ثم ساروا نحو زنجان، وسيطروا عليها ثم توجهوا الى مدينة قزوين فاعتصم أهلها بمدينتهم، فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى اخذوهم بالسيف بعد ان قتل من الفريقين عدد كبير، وقتل من أهل قزوين نيف واربعون الفا. ولما حل فصل الشتاء وتساقطت الثلوج بكثرة قرر المغول التوجه إلى اذربيجان، ونهبوا في طريقهم معظم القرى والمدن ، ووصلوا إلى تبريز وكان حاكمها صاحب اذربيجان اوزبك بن البلهوان، فلم يخرج اليهم فارسل اليهم بمال وثياب ودواب، وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده إلى ساحل البحر فوصلوا إلى موقان ،ثم توجهوا في طريقهم إلى بلاد الكرج، فخرج اليهم من الكرج نحو من عشرة آلاف مقاتل، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم، فارسل الكرج إلى اوزبك بن البهلوان يطلبون منه الصلح والاتفاق على المغول فاصطلحوا وارسلوا إلى الملك الأشرف موسى بن العادل يطلبون منه الموافقة، وانضم إلى المغول مملوك تركي اسمه اقوش واجتمع معه عدد كبير من التركمان والاكراد وغيرهم فتوافقوا جميعاً وساروا إلى الكرج، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الكرج وقتل عدد كبير منهم في شهر ذي القعدة من سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م (الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٥-٣٧٦)وسلط الغساني الضوء على خطط جنكيزخان في التوسع العسكري ففي الوقت الذي ارسل فيه هذه الطائفة المغربة ارسل طائفة اخرى إلى فرغانة وبعث طائفة إلى كلانة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون ،فسارت كل طائفة إلى الجهة التي امرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وقتلت عدد من سكانها واسرت غيرهم فضلا عن النهب والتخريب ، فلما انتهوا من ذلك عادوا إلى جنكيز خان وهو بسمرقند فجهز جيشاً عظيماً مع احد اولاده نحو خوارزم وجهز جيشاً آخر إلى خراسان، فعبروا نهر جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الأمان فأمنوهم وفرضوا سيطرتهم عليها، وتركوا فيها شحنة لضمان بقائها تحت سيطرتهم، ولم يتعرضوا لأهلها بسوء ولا اذى ثم ساروا إلى الطالقان، وهي مملكة تشتمل على عدة بلاد فيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه فحاصروها مدة ستة اشهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا فلم يظفروا منهم بشيء فأرسلوا إلى جنكيز خان لأخباره عجزهم عنها، فسار اليهم بنفسه فيمن معه من الجند ومعه عدد من المسلمين اسرى وكان يأمرهم بمباشرة القتال والا قتلهم ر، فبقوا فيها أربعة اشهر فقتل من المغول عدد كبير، فلما رأى جنكيز خان ذلك امر ان يجمع له من الحطب والخشب ما امكن ففعلوا ذلك وامرهم بعمل تل من الخشب والتراب حتى تمكنوا من صعود القلعة ونصبوا منجنيقاً، فكانوا يرمون به إلى وسط القلعة فضاق أهلها ففتحوا الباب وخرجوا فحملوا المغول حملة واحدة فسلم الخيالة منهم وقتل الباقون، ودخلوا القلعة، فنهبوا الأموال وسبوا النساء والاطفال،كما ان جنكيزخان طلب من سكان المدن التي اعطاهم الأمان سابقا المشاركة في حملاته

العسكرية مثل بلخ وغيرها، وبعثهم مع عدد من ابنائه إلى مدينة مرو فوصلوا اليها، واجتمع بها من المسلمين نحو من مائتي الف وهم معسكرون في ظاهر مرو فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم المسلمون، فقتل المغول منهم كثيرا واسروا عددا اخر، واعتصم الباقون بالمدينة فحاصرهم المغول فيها أربعة أيام، و في اليوم الخامس ارسلوا إلى أمير مرو، طالبين منه الاستسلام وطلب الامان وبأنهم سوف يبقون عليه اميرا لهم ، فأرسل يطلب الأمان لنفسه واهل البلد فأمنوهم (الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٦-٣٧٨).

ثم بين الغساني موقف هذا الامير قائلا: **"فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكز خان، وقال له اريد ان تعرض على اصحابك الاجناد حتى ننظر من يصلح لخدمتنا، فلما حضروا عنده، قبض عليهم وعلى اميرهم، وقال اكتبوا إلى تجار البلد وارباب الأموال في جريدة، وارباب الحرف والصناعات في جريدة أخرى ففعلوا ذلك فلما وقف عليه أمر أن يخرج أهل البلد باهليهم واموالهم، فخرجوا ولم يبق فيه احد، فجلس على كرسي من ذهب، وامر بقتل الأمير واصحابه فقتلوهم في ساعة واحدة، ثم اقتسموا أهل البلد، نساءهم واولادهم واموالهم. وطالب التجار وارباب الأموال بالاموال وعذبهم اشد العذاب !! وامر باحراق المدينة فحرقت، ونهبت ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع، أمر بقتل أهل البلد كافة فقتلوا عن آخرهم وامر بعد القتلى فكانوا سبعمائة الف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون، ثم ساروا إلى نيسابور فحصروها خمسة أيام، وبها جمع صالح من العسكر الإسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة واخرجوا أهلها إلى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بالمال كما فعلوا في مرو واقاموا بها خمسة عشر يوماً يحرقون وينبشون عن الأموال، فلما فرغوا منهم سير طائفة منهم إلى طوس، ففعلوا بها كذلك، وخرجبوها وخربوا المشهد الذي فيه علي بن موسى الرضا وهارون الرشيد ثم ساروا إلى هراة وهي من احصن البلاد فحصروها عشرة أيام فملكوها وامنوا أهلها، وقتلوا بعضهم وجعلوا على الباقين شحنة منهم، وساروا إلى غزانة، فلقيهم جلال الدين بن خوارزمشاه فقاتلهم فهزمهم ، فوثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه، فلما عاد المنهزمون من التتر إلى هراة دخلوا البلد قهرا ...وقتلوا أهله ونهبوا اموالهم وسبوا حريمهم وخربوا المدينة وحرقوها وعادوا إلى ملكهم جنكز خان وهو بالطالقان ففعلوا بها كذلك، ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد"**(الغساني،١٩٧٥، ص٣٧٨-٣٧٩). اشار الغساني الى تفاصيل موسعة عن حملات المغول العسكرية على عدة مدن مؤكدا قسوتهم ورغبتهم في تدميرها ولاسيما حيال المدن التي تقاومهم كما انه اشار الى نقطة مهمة وهي في حال سيطرة المغول على اي مدينة يتركون فيها شحنة عسكرية تمثلهم فيها لضمان السيطرة عليها بشكل كامل قبل الانتقال للمدينة الاخرى.ومن المعلومات المهمة التي ذكرها الغساني بخصوص حملات جنكيزخان العسكرية ان ابناء جنكيز خان تابعوا سيرهم في الطائفة الأولى اي مغول المغربة من سمرقند إلى خوارزم وكان بها عسكر كثير، واهلها معروفون بالشجاعة، فقاتلهم اشد القتال وفرضوا الحصار عليهم مدة خمسة أيام وقتل من الطرفين عدد كبير ، فارسل المغول إلى جنكيزخان طالبين منه النجدة فانجدهم بجيش كثيف فلما وصلوا زحفوا على البلاد زحفاً متتابعاً فملكوا طرفا منه وفرضوا سيطرتهم عليها بشكل كامل فقتلوا أهلها ونهبوا اموالهم واطلقوا ماء جيحون من البلد فغرق البلد باسره وتهدمت الابنية ولم يسلم من أهلها احد ،ومن نجا منهم من القتل توفي نتيجة الهدم والغرق، وعندما انتهى المغول من فرض سيطرتهم على خراسان وخوارزم عادوا إلى جنكيزخان في مدينة الطالقان(الغساني، ١٩٧٥،ص٣٧٩).

يؤكد الغساني هنا مشاركة معظم ابناء جنكيزخان معه في الحملات العسكرية وفي مقدمتهم جوجي خان (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م) ، اوكتاي خان(٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٨-١٢٤١م)، جغتاي خان (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩م)، تولوي خان (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).ومن الحملات العسكرية التي شنها المغول على عدد من مدن المشرق الاسلامي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م ،اذ وصلت فرقة عسكرية من المغول إلى الري،بعد ان عمرها سكانها ، فلم يشعروا بالمغول الا شنوا هجوما عليهم وقتلوا عددا منهم ، ونهبوا المدينة ودمروها، وساروا إلى ساوة ففعلوا بها الشيء نفسه، ثم توجهوا الى قم وقاشان بعد ان تمكنتا من النجاة منهم في المرة الاولى ، وقتلوا أهلها ثم ساروا في البلاد يحرقون ويقتلون وينهبون، ثم قصدوا همذان فسلم كثير من أهلها، فاجتمعوا فيها، وشرعوا في عمارتها فأبادهم هؤلاء قتلا واسرا ونهبا وكان بها عسكر من الخوارزمية، فتمكنوا من قتل عدد منهم ، بينما هرب عدد اخر إلى اذربيجان، فنزلوا باطرافها، فشن المغول هجوما مباغتا عليهم فتمكنوا من الهرب، فوصل بعضهم إلى تبريز وتفرق الباقون، غير ان المغول واصلوا هجماتهم حتى وصلوا قرب تبريز، وارسلوا إلى صاحبها اوزبك بن البلهوان طالبين منه ان يسلمهم بمن احتمى عنده من الخوارزميين ،مهددين اياه ان لم يفعل ذلك ، فسلمهم اليهم فقتل بعضهم وأسر آخرين وحمل الرؤوس والاسرى إلى الخوارزميين الذين انهزموا منهم ستة آلاف رجل(الغساني،١٩٧٥،ص٣٩٨). ومن الجدير بالذكر ان غياث الدين بن خوارزمشاه سار في هذه السنة إلى بلاد فارس، فلم يشعر صاحبها سعد بن دكلا الاتابك الا بوصوله إلى بلاده، فلم يتمكن من الاحتماء بها فتوجه الى قلعة اصطخر متحصنا بها، وسار غياث الدين إلى مدينة شيراز وهي مقر مملكة فارس، واكبرها واعظمها وسيطر عليها بسهولة

واستولى على عدد من المدن المجاورة لها، ولم يبق بيد سعد بن دكلا الا الحصون المنيعة فلما طال الأمر عليه، صالح غياث الدين على ان يكون لسعد من البلاد قسما ولغياث الدين الباقي، واقام غياث الدين في مدينة شيراز ولاسيما بعد وصول الاخبار اليه ان المغول ساروا من جديد الى مدينة الري والمدن التي تحت سلطته ودمروها (الغساني،١٩٧٥،ص ٣٩٩).

تابع الغساني حديثه عن الحملات العسكرية للمغول قائلا :" **فجهز جنكزخان جيشاً كثيفاً إلى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزمشاه، وقد اجتمع اليه من عسكر أبيه نحو من ستين الف مقاتل فكان جملة التتر الذين وصلوا اثني عشر الف فاقتتلوا ثلاثة أيام متتابعة ثم انهزم التتر وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً فلحقوا بالطالقان، فجهز جنكزخان عسكرا أكثر من الأول مع بعض اولاده وسيره اليه فوصل إلى كابل وسار اليهم جلال الدين فيمن معه فاقتتلوا قتالاً عظيماً فانهزم التتر وقتل منهم عالم لا يحصون، وغنم المسلمون ما كان معهم. وكان معهم شيء عظيم وكان معهم من اساري المسلمين فاستنقذوهم ووقعت فتنة بين السمليمن لاجل الغنيمة فقتل اخ لسيف الدين بغراق. وكان بغراق شجاعا مقداما ذا رأي في الحرب ومكيدة وقد اصطلى الحرب بنفسه، وقال لعسكر جلال الدين: تأخروا عن القتال فقد ملئتم رعبا. وكان مع المسلمين أمير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزمشاه نسب، فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا، فقتل بينهما اخ لبغراق فغضب اخوه وفارق العسكر وسار إلى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفا فاستعطفه جلال الدين وسار خلفه وخوفه من الله تعالى وذكره فضيلة الجهاد، وبكى بين يديه فلم يرجع فتخلفت نيات المسلمين وضعفوا فبيناهم كذلك إذ اقبل جنكزخان في جموعه، فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين، وتخلف نياتهم، سار نحو بلاد الهند، فوصل إلى ماء السند وهو نهر كبير وتبعه جنكز خان يقص أثره حتى ادركه فاضطر جلال الدين إلى القتال حينئذ فاقتتلوا قتالاً لم يكن مثله ابدا فقتل الأمير ملك خان في طائفة عظيمة من المسلمين وقتل من التتر أكثر فرجع التتر عن موضع القتال وابعدوا ونزلوا وارسل جلال الدين للسفن فلما جاءت عبر هو واصحابه إلى ..... الهند فلما كان الغد سار التتر إلى غزنة فملكوها لوقتها فقتلوا أهلها ونهبوا الأموال، وسبوا الحريم وخربوها وكذلك فعلوا بسوادها فاصبحت تلك الاعمال خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس**" (الغساني،١٩٧٥،ص٣٧٩ –٣٨٠).اكد الغساني في النص اعلاه استمرار ملاحقة المغول لجلال الدين منكبرتي ومحاولاتهم المستمرة للقضاء عليه وانهاء الامارة الخوارزمية ،ولكنه اشار الى ان الهزيمة والنصر كانا يتراوحان بين الطرفين ،كما انه سلط الضوء على محاولات المغول لملاحقة جلال الدين منكبرتي الى غزنة والهند فكانت هذه بداية لتطلع المغول للسيطرة عليها .

***خامسا:روايات الغساني عن وفاة جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧ م:**

من الروايات المهمة التي ذكرها الغساني في كتابه وفاة جنكيزخان قائلا:"**في هذه السنة توفي طاغية التتر الذي اخرب البلاد واباد العسكر والعباد واكثر الفساد ....وهو من بادية الترك** "(الغساني،١٩٧٥،ص٤٣٠).يختم الغساني حديثه عن جنكيزخان واصفا اياه بالطاغية بسبب الحملات العسكرية التي شنها على العالم الاسلامي وما اقترفه من دمار في معظمها .

***سادسا:روايات الغساني عن الصراع بين جلال الدين منكبرتي (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠ م) والمغول سنة ٦٢٤– ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٦ – ١٢٢٧م** : من ضمن الروايات التي ذكرها الغساني في كتابه هذا الصراع بين جلال الدين منكبرتي والمغول الذي استمر سنوات عدة .

في سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م وصلت الاخبار الى جلال الدين منكبرتي بقدوم المغول الى مدينة دامغان بالقرب من مدينة الري للسيطرة على بقية المدن فتوجه اليهم والحق بهم الهزيمة وقتل عدد كبير منهم ،كما وصلته الاخبار بقدوم قوات مغولية اخرى فأقام في الري ينتظرهم (الغساني،١٩٧٥،ص٤٢٧) فقال بهذا الصدد :" **وكان التتر قد خرجوا إلى الري، وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة وكان أكثرها عليه وفي الأخير كان الظفر له وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان في حياته على مقدمهم وابعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فوجدها خرابا فقصد الري ليتغلب عليها فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم جلال الدين ثم عاد فانهزم فقصد اصبهان وجمع عساكره ومن في طاعته فاتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن الاتابك سعد، فلما اجتمع عسكره سار نحو التتر فلقيهم فاقتتلوا اشد القتال ثم انعزل غياث الدين اخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء على مفارقة أخيه جلال الدين، فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوا انهم يريدون أن يأتوهم من وراء ظهورهم، فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس** "(الغساني،١٩٧٥،ص٤٣٢–٤٣٣).وعندما رأى جلال الدين منكبرتي ترك الجند فيمن معه من الامراء ظن أن المغول ارادوا تدبير خدعة حربية من اجل استدراجه ، فعاد منهزما ولم يدخل مدينة اصفهان ،أما صاحب فارس فانه لما ابعد في اثر المغول ولم ير جلال الدين ولا جيشه خشي أن يهاجمه المغول فأبتعد عنهم،اما المغول فلم يجدوا احدا يتبعهم فعادوا إلى اصفهان وفرضوا الحصار عليها، فظن أهلها وغيرهم أن جلال الدين قتل

، حتى وصل رسول منه إليهم ليخبرهم بسلامته، فارسلوا اليه يستدعونه، فسار اليهم فخرجوا اليه وقاتلوا المغول والحقوا الهزيمة بهم ،وتبعهم جلال الدين فيمن معه إلى مدينة الري يقتل ويأسر، وعندما ابتعدوا عنها اقام بها، وارسل اليه اوكتاي خان ليخبره ان هؤلاء ليسوا من اصحابنا ولكننا طردناهم عنا، فرجع جلال الدين إلى آذربيجان (الغساني،١٩٧٥،ص٤٣٣).واصل الغساني حديثه عن الصراع بين المغول وجلال الدين منكبرتي اذ ذكر ان مقدم الإسماعيلية ارسل سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م إلى المغول يبلغهم ضعف جلال الدين ، ويحثهم على مواجهته وضمن لهم الظفر به ، ومن الجدير بالذكر ان جلال الدين لم يترك احداً من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك واساء جواره ، لهذا عندما وصلت الرسائل إلى المغول شنو هجمات على مدن عدة واستولوا على الري وهمذان وما بينهما ثم قصدوا آذربيجان ففرضوا الحصار عليها ونهبوا وقتلوا من ظفروا به، ولم يتمكن جلال الدين من مقاومتهم ومنعهم، فأثار الخوف فيهم ،وفي الوقت نفسه ثار جنده ضده وخرج وزيره عن طاعته وكان السبب في ذلك أن خصيا لجلال الدين هلك وكان خاصا عنده، فوجد عليه وجدا عظيما، وحزن حزناً لم يسمع بمثله وامر الجند والامراء ان يمشوا في جنازته رجالة، وكان في موضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ، فمشي الناس رجالة ومشى جلال الدين راجلا، والزمه امراؤه ووزراؤه الركوب فركبوا(الغساني ،١٩٧٥،ص٤٤٣-٤٤٤). فلما وصل إلى تبريز امر أهل البلدان أن يخرجوا عن البلد، ولم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا، واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن الخادم واستصحبه معه حيث سار وهم ويبكي وامتنع عن الاكل والشرب، وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا إلى فلان يعني الخادم، فقال له احد المماليك انه مات فأمر بقتل القائل، فلم يتجرأ احد أن يقول له انه مات بعد ذلك، وكانوا يقدمون اليه الطعام ويعودون يقولون له انه يقبل الأرض ويقول أنني الآن اصلح مما كنت فلحق امراءه الغيظ والأنفة من هذه الحالة مما دفعهم على الخروج عن طاعته فبقي في حيرة من امره لا يعلم ما يفعل ،فلما خرج عليه المغول دفن الغلام الخادم وأرسل إلى الوزير واستماله فلما وصل اليه قتله،وعندما وصل المغول الى آذربيجان، قصد جلال الدين مدينة خلاط وكان عازماً على أن يتوجه الى ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة العباسي ويستنجد بجميع الملوك قاطبة ،فبلغه ان المغول يلاحقونه ، وانهم مجدون في اثره، فسار اليهم إلى مدينة آمد، غير انه تمكن من الهرب ، وتفرق من كان معه من الجند فقصد طائفة منهم مدينة حران، فاوقع بهم الأمير صواب وهو مقدم جيش الملك الكامل ومن معه من جند فاخذوا ما معهم من سلاح ومال ودواب، ومنهم من سار إلى نصيبين والموصل وسنجار واربل (الغساني،١٩٧٥،ص٤٤٤-٤٤٥)

ومن الجدير بالذكر ان المغول عندما وصلوا الى المدينة نهبوا سوادها فضلا عن ميافارقين وغيرهما وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم أهلها فبذلوا لهم الأمان فوثقوا بهم واستسلموا اليهم فلما تمكن المغول منهم قتلوا عددا منهم حتى كادوا يأتون على آخرهم وكانت مدة حصارهم خمسة أيام قتل فيها منهم أكثر من خمسة عشر الفا ثم انتشروا في البلاد فوصلوا إلى ماردين فاحتمى صاحبها بالقلعة ثم سار إلى نصيبين فاقاموا عليها، ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت أبوابها فعادوا عنها ،فمضوا إلى سنجار فنهبوا جبالها ودخلوا الخابور ،وتوجه عدد منهم الى الموصل وعدد اخر إلى نصيبين الروم وهي على الفرات من اعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها عدد كبيرا واحرقوا المدينة ،في حين توجه عدد اخر إلى اعمال اربل فقتلوا من وجدوا على طريقهم ودخلوا اربل فنهبوا القرى، وقتلوا أهلها، وفي نهايه سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م دخل سكان آذربيجان في طاعة المغول وحملوا اليهم الأموال والثياب وغير ذلك وسار ملك المغول إلى مدينة تبريز فوقف قريباً منها وارسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته فاذعنوا له فارسلوا اليه بالمال والثياب والتحف، فاعاد الجواب يشكرهم(الغساني، ١٩٧٥، ص٤٤٥).

و في شهر شوال من سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م وصل المغول الى مدينة اربل واحاطوا بها من كل ناحية فدخلوها عنوة يوم التاسع والعشرين،كما قدم المغول المدد لزعيم الموصل بما يحتاجون اليه من ميرة وغيرها فتحصن أهل اربل بالقلعة، فقل الماء لديهم فتوفي منهم الكثير بسبب العطش، ولم يتمكنوا من دفنهم بسبب ضيق المكان ولا القاؤهم لئلا سدوا الخندق فأحرقوهم بالنار ، ولما علم الخليفة بهم جرد العساكر اليهم ،فلم علم المغول بوصول العساكر غادروها احتياطاً وكان رحيلهم عنها يوم السادس من ذي الحجة (الغساني،١٩٧٥،ص ٤٧٨). يؤكد الغساني هنا شدة المقاومة التي واجهها المغول عند محاولاتهم للسيطرة على مدينة اربل ،وليس هذا فحسب بل للدور الكبير الذي مارسه الخليفة العباسي في تقديم المساعدة للسكان. غير ان المغول اعادوا المحاولة للسيطرة عليها في السابع من شهر صفر سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م في جمع كثير وكان وصولهم بغتة فانزعج من كان فيها من الناس ومن كان بالقلعة خوفاً منهم فأمر زعيمها بخروج العساكر إلى ظاهر البلد واستعدوا للحراسة ،فأضطر المغول للرحيل عنها وقصدوا داقوقا، وانبثوا في اعمال بغداد فوصل الخبر بذلك إلى الخليفة فبعث اليهم شرف الدين اقبال الشرابي فنزل إلى ظاهر البلد في العساكر الإسلامية وسار نحوهم واشتبك معهم بمعارك عدة واضطربت الصفوف ولمعت الاسنة وارتفع أصوات التكبير وتعبأ المسلمون ميمنة وميسرة وقلبا ،فأضطر المغول لتركها فتبعهم الترك، فقتلوا منهم عددا

منهم وغنموا عددا من الخيول (الغساني،١٩٧٥،ص٤٧٩-٤٨٠). ان محاولات المغول المتكررة للسيطرة على اربل وقلعتها يؤكد اهميتها بالنسبة لهم ،على الرغم من شدة مقاومة اهلها لهم . ومن ضمن الروايات التي ذكرها الغساني وصول ملك التتر اي خان المغول سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠م على شهاب الدين صاحب ميافارقين (الغساني،١٩٧٥،ص ٤٩٨)، اذ اخبره قائلا :" **أن بالقرب من بلاد قاآن قريبا من ياجوج وماجوج على البحر المحيط أقوام ليس لهم رؤوس وأعينهم في مناكبهم، وافواههم في رقابهم، واذا رأوا الناس هربوا، قال: وعيشهم من السمك، قال وهناك طائفة يزرعون في الأرض بذار يتولد منه غنم كما يتولد الدود، ولا يعيش الخروف أكثر من شهرين أو ثلاثة مثل بقاء النبات، وحكى ان هذا الغنم لا يتناسل واخبر ان عندهم آدمي يرى على جسمه شعر كثير وخيل برية لا تلحق !!**"(الغساني،١٩٧٥،ص ٤٩٨ -٤٩٩). ان ما قصده الغساني هنا بملك التتر هو اوكتاي خان (٦٢٦-٦٣٩هـ/١٢٢٨-١٢٤١ م) ، الذي تسلم الحكم بعد وفاة جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م. ويبدو ان هذا الرسول حاول من خلال سرده لهذه الرواية بث الرعب في نفس صاحب ميافارقين واثارة الخوف من اجل اخضاعهم واعلان الولاء لهم. ومن ضمن حوداث سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م ذكر الغساني هجمات المغول على ميافارقين ونهبوا ديار بكر ، وسيطروا على حران والرها وماردين صلحا، وهرب شهاب الدين غازي منهم قاصدا مصر (الغساني،١٩٧٥،ص٥٢٧). وفي آخر هذه السنة توجه المغول الى شهرزور فدخلوها فجأة عند وصول الأمير محمد بن سنقر اليها فنجا بنفسه واخذوا جميع ما كان معه، واحرقوا طبوله واعلامه وقتلوا من وجدوا من أصحابه(الغساني،١٩٧٥،ص٥٣٣).وفي حوادث سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م اشار الغساني الى استمرار هجمات المغول العسكرية في شهر المحرم بين النهرين شرقي دجلة في بغداد ونهبوا اغناما كثيرة (الغساني،١٩٧٥،ص٥٣٥).

وفي شهر ربيع الأول، شن المغول حملاتهم من همذان في ستة عشر الفا متوجهين الى الجبل ،بينما شنت فرقة عسكرية اخرى خانقين، ووصلوا قرب بعقوبا ، فأمر الخليفة العساكر بالتوجه إلى ظاهر البلد وأمر بتوزيع السلاح (الغساني،١٩٧٥،ص٥٣٥).وفي يوم السادس عشر خرج اقبال الشرابي ومعه عدد من العساكر لمواجهة المغول بعد ان وصلتهم الاخبار بقدومهم ، فوصل المغول يوم السابع عشر، واشتبك الطرفان بمعارك دامية، واقتتلوا فقتل من كل طائفة، وافترقوا آخر النهار، وفي الصباح عبر المغول وادي دجلة، ونهبوا طريق خراسان وبعقوبا، وقتلوا وأسروا عدد من سكانها(الغساني،١٩٧٥،ص٥٣٥) كما اشار الغساني قائلا:"**وفيها توفي السلطان كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو صاحب الروم، وكان قد وليّ الملك (وهو شاب) فاشتغل عن أمور الملك فاختل عليه قانونه وطمع فيه مع كثرة عساكره، فقصد طائفة من التتر، فسار اليهم بعساكره فانكسر عسكره وولى هاربا، وأسرت أمه وكان قبيح الرأس مشتغلاً باللعب والشراب قيل انه لما سار إلى لقاء التتر استصحب معه من الخمور وآلتها والقردة ما حمله على خمسمائة جمل، وكانت وفاته في شعبان من السنة المذكورة**"(الغساني،١٩٧٥،ص٥٤٠).ومن الاخبار المهمة التي ذكرها الغساني ضمن حوادث سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م في شهر ربيع الأول وصول رسولان من المغول احدهما من الامير بركة خان (٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦م م) والاخر من احو فركب لاستقبالهما كافة الزعماء في عساكرهم إلى ظاهر البلد واصطفوا صفين وجاز الرسولان في وسطهم وكان العسكر كثير العدد (الغساني،١٩٧٥،ص ٥٤٢).

وفي سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م من شهر جمادي الأولى وصلت فرقة عسكرية من المغول إلى خانقين والمناطق المجاورة لها، واشتد القتال بينهما ونهبوا اغناما كثيرة وابقارا وغير ذلك ، ثم وصل الخبر من دقوق إلى الأمير بلبان بقتل المغول لعدد من اهلها واسروا آخرين وحضر ولده إلى الأبواب الشريفة، فخلع عليه الخلع (الغساني،١٩٧٥،ص ٥٧١).

***سابعا :روايات الغساني عن احتلال المغول لمدينة بغداد سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م :**

من الاخبار المهمة التي وثقها الغساني بشكل مفصل ودقيق الحملة العسكرية التي شنها المغول بقيادة هولاكو(ت ٦٦٣هـ/١٢٦٤م) الى العراق والسيطرة عليه وانهاء الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨. وتحدث عن بداية الحملة سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م قائلا :" **قصد ملك الأرض هولاكو اعمال العراق فجمع الجموع وأنفذ رسله إلى الديوان منذرا ومحذرا وقوعدا ومتوعدا والتمس ان يدخل أهل العراق جميعهم في طاعته وانفاذ الجواب عن ملتمسه، وكان المستعصم خليا من الرأي، واهتموا بالاقطاعات والمكاسب واهملوا النظر في المصالح الكلية واشتغلوا بما لايجوز من الأمور الدنيوية واشتد ظلم العمال واشتغلوا بتحصيل الأموال والملك قد يدوم مع الكفر ولايدوم مع الظلم** " (الغساني،١٩٧٥،ص٦٢٤) وقال عبد القاهر بن القرطبي فيهم وكان يومئذ كاتب ديوان العرض (الغساني،١٩٧٥،ص٦٢٤):

ياسائلي ولمحض الخير يرتاد	اصخ فعندي نشدان وانشادُ
واسمع تجد لي روايات تحققها	ذا راية واحاديث واسنادُ

فهم ذكي وقلب حاذق يقظ وخاطر لنفوذ النقد نقادُ

عن قتية فتكوا في الذين وانتهكوا حماه جهلا برأي فيه افسادُ

ارسل هولاكو إلى أهل العراق،والتمس الدخول في طاعته، والجواب عما طلب، أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠ – ٦٥٦هـ /١٢٤٢ – ١٢٥٨م)بعدم الإجابة إلى ما طلب، فلما سمع هولاكو مضمون الكتاب، وفهم المقصود من الجواب قرر العزم وقدم الحزم وكتب اليه الوزير مؤيد الدين يطمعه في البلاد ويسهل عليه السيطرة على العراق، وطلب أن يكون نائبه فيها فوعده بذلك، وتأهب هولاكو لقصد بغداد وكتب إلى صاحب الموصل يأمر بتهيئة الاقامات وجمع السلاح، فكتب صاحب الموصل إلى الوزير والى الخليفة المستعصم بالله ، وكان الوزير لا يطلع الخليفة على كتبه ولا على غيره، فلما تواترت الاخبار بتحرك المغول برزت العساكر الديوانية إلى ظاهر بغداد ،ومن الجدير بالذكر ان الخليفة المستعصم بالله امر ان يكون الأستاذ مرشد الشرفي احد خدام شرف الدين اقبال الشرابي في مقال استاذه مقدما على كافة العساكر غير ان الجند رفضوا، وامتنعوا من ذلك ولاسيما مجاهد الدين ايبك الدويدار، وكان ذلك أول خلاف وقع به الوهن، فلما تحقق الخليفة من صحة الاخبار بقدوم المغول نحوه، بعث اليهم شرف الدين عبد الله بن يوسف ابن الجوزي رسولا يعدهم باموال عظيمة ،ثم سير مائة رجل إلى الدربند يكمنون فيه ويطالعون بالاخبار، فمضوا إلى هنالك فعلم بهم الأكراد فأرشدوا عليهم المغول فقتلوهم جميعهم، وسار هولاكو إلى العراق في عساكره وجيوشه واقبل في الجانب الشرقي، من طريق حلوان فانتشرت عساكره في طريق خراسان مما اثار الرعب في الناس ففروا هاربين إلى بغداد، واما الجانب الغربي فبعث اليه فرقة عسكرية كبيرة من المغول وغيرهم، بقيادة الأمير احو فقصدوا بغداد فامتلأت اكنافها منهم فخرج جيش الخلافة في بغداد بقيادة ركن الدين الدويدار فاقتتلوا على نحو مرحلتين من بغداد فهزم البغداديون وغرق عدد منهم ،بينما تمكن عدد منهم من الهرب(الغساني،١٩٧٥،ص ٦٢٥–٦٢٧).وتحدث الغساني عن الاحداث التي وقعت قبل بدأ المعركة النهائية بين الطرفين في سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م قائلا :"**اقبل هولاكو قاصداً بغداد من الجانب الشرقي في عساكره وجيوشه واقبل الأمير ناحو فيمن معه من عساكر المغل قاصداً بغداد أيضاً من الجانب الغربي فأحاطوا بها من الجانبين، فلما رأى أهل بغداد ذلك الجيش العظيم امتلأت قلوبهم رعباً فنصبوا المجانيق على الاسوار واستعدوا للحصار وظنوا أن مدة الحصار تدوم فعند ذلك ضاقت الأرض عليهم بما رحبت واحاطت العساكر بجانبي بغداد فأشار الوزير على مصانعة التتر والخروج اليهم في تقرير الصلح لنفسه وتوثق منهم، ورجع إلى الخليفة المستعصم قد رغب بان يزوج بنته بابنك أبي بكر ويبقيك في منصب الخلافة، كما ابقى صاحب الروم في سلطنته ولا يريد إلا أن تكون الطاعة له كما كان اجدادك مع السلاطين السلجوقية وينصرف عنك بجيوشه والرأي ان يجيبه مولانا إلى هذا لأن فيه حقن دماء المسلمين، ويمكن بعد ذلك ان تفعل ما تريد، والمصلحة ان يخرج مولانا اليه، فخرج المستعصم بالله في جميع من الأعيان إلى هولاكو فانزل في خيمته ثم دخل الوزير، فاستدعى الفقهاء والامائل ليحضروا العقد، فخرجوا من بغداد فاخذوا جميعا وضربت اعناقهم وقتل الخليفة، وقيل خنق وقيل رفس وقيل غم في بساط حتى مات ودخل التتر مدينة بغداد وبذلوا السيف في أهلها، واستمر القتل والسبي بضعا وثلاثين يوما. فلم يسلم منهم الا من اختفى فأمر هولاكو بعد القتلى، فكانوا الف الف وثمان مائة الف وكسر والاصح ان القتلى في بغداد ثمان مائة الف. ثم نودي بعد ذلك فظهر من كان مختفيا، وهم قليل من كثير. وروي ان آخر جمعة خطب فيها الخطيب ببغداد، كانت الخطبة فيها الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الاعماد وحكم بالموت على أهل هذه الديار فدارت الجمعة الأخرى والسيف يعمل في البلاد فانا لله وانا اليه راجعون، وزالت الدولة العباسية مع عظم شأنها ودوام سلطانها....."** (الغساني،١٩٧٥،ص٦٣٠–٦٣٢).نلحظ هنا محاولة الوزير ابن العلقمي للوساطة بين الخليفة العباسي وهولاكو وعقد الصلح بينهما حقنا للدماء ،وعقد المصاهرة السياسية بينهما مع احتفاظه بالخلافة ،وعلى الرغم من اقتناع الخليفة بذلك فأنه لم يسلم من القتل ،وارى ان الخليفة العباسي سواء رفض العرض او وافق عليه فمصيره واحد ،اذ كان هدف المغول القضاء على الخلافة العباسية بشكل نهائي ليكون الحكم المطلق لهم للعالم اجمع ،فبغداد مهمة جدا بالنسبة لهم وهي مفتاح لهم للتوسع اكثر والسيطرة على ما يجاورها من البلاد ،ولابد من الاشارة ان الخليفة المستعصم بالله لا يتحمل لوحده اسباب ذلك بل ان الضعف والتفكك الذي عانت منه الخلافة العباسية قبل توليه الخلافة فضلا عن تحكم عدد من الامارات الاسلامية واستقلالها في المشرق والمغرب اثر بشكل كبير في ضعف اركان الخلافة العباسية فأستغل المغول ذلك وانتظروا اللحظة الحاسمة لتحقيق هدفهم في السيطرة على العراق وانهاء الخلافة العباسية .

الخاتمة :

تمخض عن البحث عدد من النتائج المهمة ومن ابرزها:

١-يعد الملك الاشرف الغساني من ابرز حكام الدولة الرسولية التي حكمت اليمن،ولم يقتصر اهتمامه بالجانب السياسي فقط وانما اهتم بالعلم والعلماء ،فأمر ببناء مؤسسات تعليمية وعلمية فضلا عن المؤسسات الخدمية ،كما صنف عدد من الكتب التاريخية التي تركت بصمة مهمة في المكتبة التاريخية.

٢-اعتمد الغساني على عدد من المصادر التاريخية لعدد من المؤرخين ممن سبقوه في تدوين الروايات والاخبار التاريخية التي اوردها في كتابه "العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك" والتي تتعلق بأخبار المغول مع اشارته الى رأيه فيما ورد عنهم من اخبار.

٣-بدأ الغساني حديثه عن المغول مشيرا لهم بالتتر دون ان يفرق بينهم وبين القبائل المغولية .

٤-تحدث الغساني عن المغول وبداية ظهورهم بزعامة جنكيزخان ،واشار الى معلومات واسعة عن علاقته مع علاء الدين خوارزمشاه واسباب توتر العلاقات بينهما .

٥-اشار الغساني الى اهم الحملات العسكرية التي شنها جنكيزخان على مدن المشرق الاسلامي وما الحقته من دمار وخراب بها .

٦-سلط الغساني الضوء على مواصلة المغول لحملاتهم العسكرية على مدن العالم الاسلامي بعد وفاة جنكيزخان وملاحقة اخر حكام الامارة الخوارزمية جلال الدين منكبرتي وسيطرتهم على معظم البلاد التي كانت تابعة لهم .

٧-سلط الغساني الضوء على الاحداث التي سبقت احتلال المغول لبغداد وانهاء الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ،١٢٥٨م ،ومحاولة عقد الصلح بين المغول والخليفة العباسي المستعصم بالله ودور الوزير ابن العلقمي في ذلك.

ملحق (١)

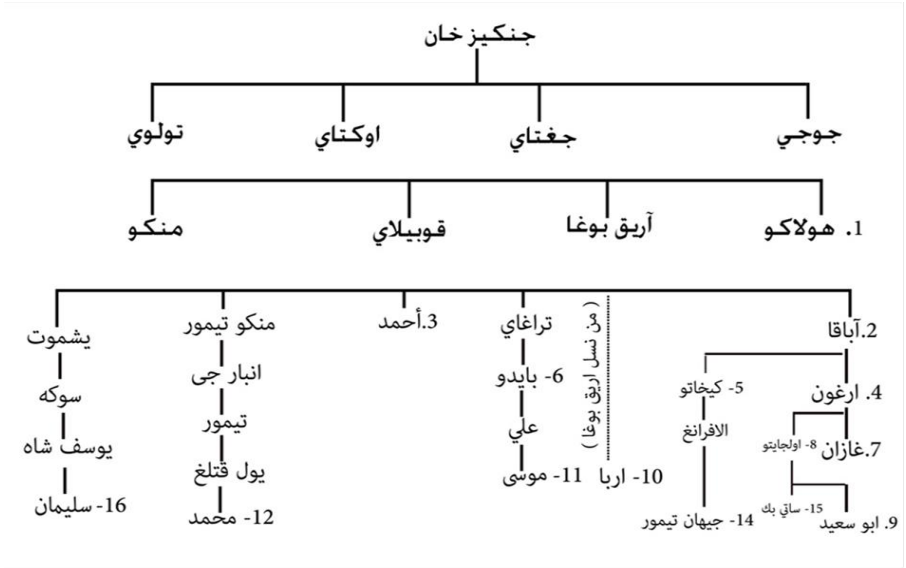

ينظر: (بول، د.ت، ج٢،ص٥١٩؛ سليمان ، ١٩١١م،ج٢،ص٤٨٤).

ملحق(٢)

المغول

(جدول جامع للقبائل المغولية وبطونها)

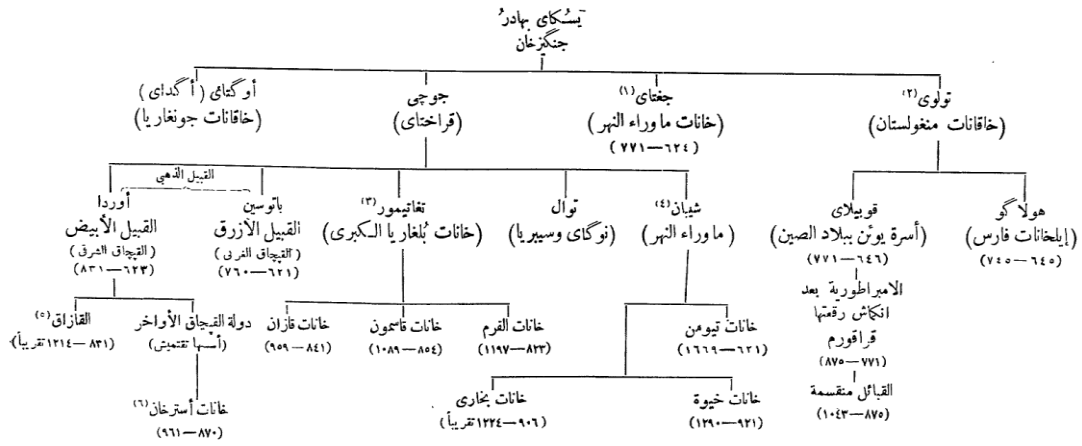

ينظر: (زامباور ، ١٩٨٥، ص٣٥٩)

ملحق(٣)

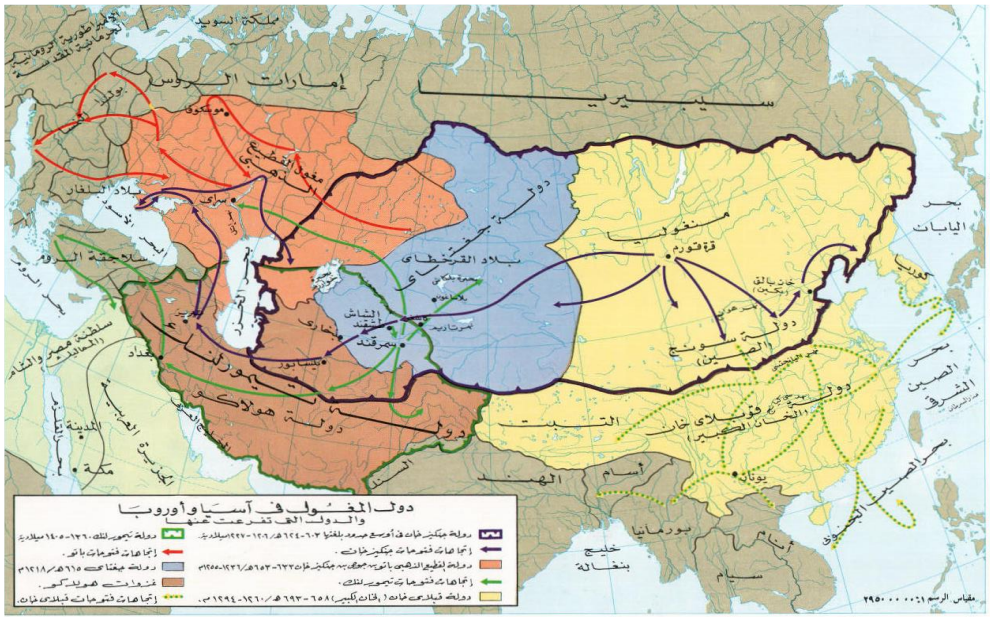

ينظر: (مؤنس،١٩٨٧ ، ص٢٢٨)

ملحق(٣)

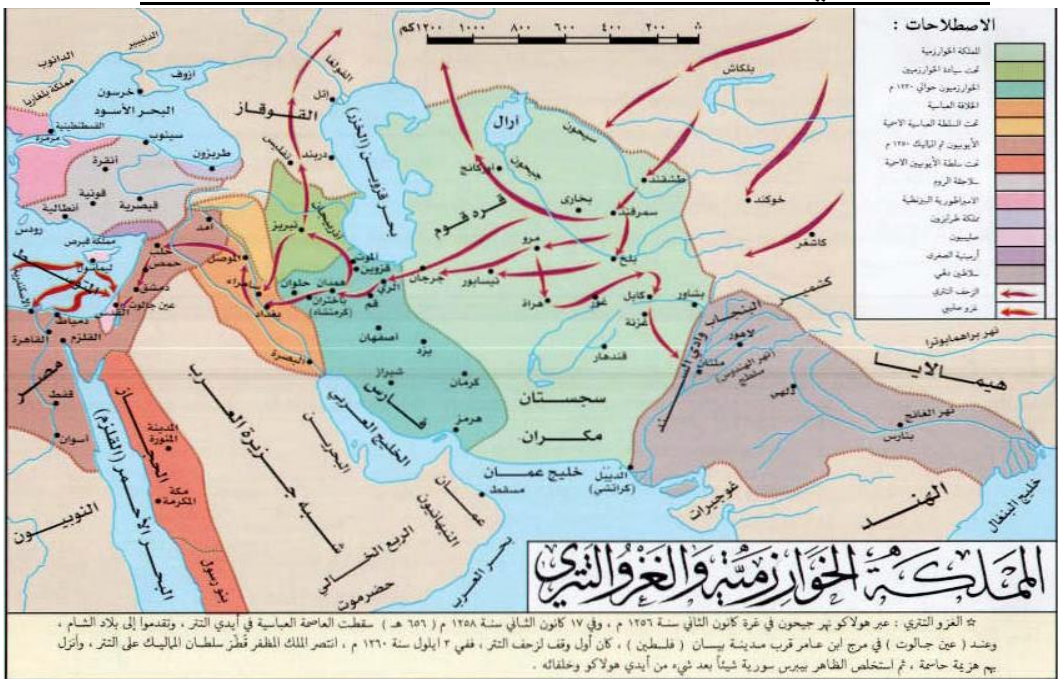

ينظر:(ابو خليل ،٢٠٠٥، ص٦٥)

***المصادر :**

١ – أقبال ، عباس،(١٩٨٩) ،تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥ هـ /٨٢٠م –١٣٤٣هـ /١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه : د. محمد علاء الدين منصور ،راجعه الاستاذ الدكتور : السباعي محمد السباعي ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

٢– بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش،(د.ت)، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د.أحمد سعيد سليمان، راجعه: ابراهيم صبري، مكتبة الانجلو المصرية، مصر .

٣–بروكلمان، كارل،(١٩٦١)، تاريخ الشعوب الإسلامية والإمبراطورية العربية وانحلالها، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين،ط٣، بيروت.

٤–البغدادي،اسماعيل باشا،(د.ت)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون،دار احياء التراث العربي،بيروت.

٥–بوزورث، كليفورد.أ.،(١٩٩٥)،الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، دراسة في التاريخ والانساب، ترجمة:حسين علي اللبودي ، مراجعة: د. سليمان ابراهيم العسكري، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت، بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،ط٢ ، مصر.

٦– بول، ستانلي لين،(د.ت)، الدول الإسلامية ، ترجمة : محمد صبحي فرزات ، أشرف على ترجمته وعلق عليه : محمد أمين دهمان ، مع اضافات وتصحيحات بارتولد ، وخليل أدهم ، مكتبة الدراسات الإسلامية ، دمشق .

٧ –حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله،(١٩٤١)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصوير: مؤسسة التاريخ العربي ،دار إحياء التراث العربي بيروت .

٨–حطيط، احمد،(١٩٩٤)، حروب المغول – دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من ايام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك، دار الفكر اللبناني،ط١، بيروت.

٩–الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس ،(١٩٨٣)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عُني بتصحيحه وتنقيحه: محمد بسيوني عسل ، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب،ط١، بيروت – لبنان.

١٠–الخشاب ، وفيق حسين،(١٩٦٤)، آسيا،المطبعة العربية،ط١،بغداد.

١١–ابو خليل ، شوقي،(٢٠٠٥)،اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، ط١٢ ، دمشق.

١٢-زامباور ، أدوردفون ،(١٩٨٥)،معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه : د. زكي محمد حسن بك ، حسن أحمد محمد ، واشترك في ترجمة بعض فصوله : د. سيدة اسماعيل كاشف وحافظ أحمد حمدي وأحمد ممدوح حمدي ، دار الرائد العربي ، بيروت .

١٣-الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس،(٢٠٠٢) ، الاعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين-، دار العلم للملايين،ط١٥، بيروت.

١٤-زنكي،سهام عبد المجيد،(٢٠١٠)، تطور اللغة التركية واللغة الكردية وابجديتهما عبر العصور (دراسة تقابلية)،بحث منشور ضمن منهاج المؤتمر العلمي السادس الموسوم (التنوع الثقافي وصعوبة الترجمة)، جامعة بغداد ، كلية اللغات .

١٥-الزوكة،محمد خميس،(١٩٩٨) ،آسيا دراسة في الجغرافيا الاقليمية،دار المعرفة الجامعية،ط٢،الاسكندرية .

١٦-السخاوي،شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن ،(د.ت)،الضوء اللامع لاهل القرن التاسع،دار الجيل،بيروت.

١٧-سليمان ،احمد السعيد،(١٩١١)، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، مطبعة دار الجنان، القاهرة

١٨-سليمان، احمد عبد الكريم،(١٩٨٤)، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ٦٤٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٠ -١٢٧٧م، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع،ط١، القاهرة.

١٩-شاهين ،فاتن كامل،(٢٠١٩)، انجازات الدولة الرسولية (بني رسول) (٦٢٦-٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م) في اليمن على مستوى النواحي التنظيمية والادارية،مجلة الباحث،م٢١،العدد ٣٣.

٢٠- الصياد ، فؤاد عبد المعطي،(د.ت) ، المغول في التاريخ من جنكيزخان إلى هولاكو، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

٢١-صفا،محمد أسد الله ،(١٩٨٨)، جنكيزخان الوحشي النابغة ١١٦٧-١٢٢٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، بيروت- لبنان

٢٢-الطائي ،سعاد هادي حسن ،(٢٠١٤)، اعلام امراء البلاط المغولي (أعلام امراء البلاط المغولي - دراسة في دورهم العسكري والسياسي والاداري والاقتصادي والعمراني (٦٢٤ - ٦٧٣هـ/١٢٢٧- ١٢٧٤م)،دار صفحات للنشر والتوزيع ،ط١،دمشق.

٢٣- الطائي،سعاد هادي حسن،(٢٠٢٣)، المغول في كتاب " اخبار الدول في أثار الاول في التاريخ للقرماني (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، International Journal of Research in Social Sciences and Humanities،المجلد ١٣، العدد١.

٢٤-العريني، السيد الباز،(١٩٨٦)، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥-عكاشة ، ثروت محمود،(١٩٩٢) ، اعصار من الشرق - جنكيزخان - ، دار الشروق ،ط٢، القاهرة .

٢٦- ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي ،(١٩٩٣)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط ،خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير،ط١، دمشق - بيروت .

٢٧- الغساني ، ابو العباس اسماعيل بن العباس ،(١٩٧٥)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق : د. شاكر محمود عبد المنعم ، عني بتصحيحه واخراجه: علي الخاقاني، دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، دار البيان، بغداد.

٢٨-فهمي،عبد السلام عبد العزيز،(١٩٨١)، تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف ، القاهرة .

٢٩-القرماني ،أَحْمد بن يوسف ،(١٩٩٢)، اخبار الدول في أثار الاول في التاريخ ،دراسة وتحقيق،د. احمد حطيط ،د.فهمي سعد ،عالم الكتب،ط١ ،بيروت .

٣٠-قوانغ ، شيوى، (١٩٨٧)، جغرافيا الصين ، ترجمة :محمد أبو جراد، دار النشر باللغات الاجنبية ، الصين - ،ط١،بكين.

٣١-كحالة،عمر رضا،(د.ت) ،معجم المؤلفين،الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٢-كريم ، ابرار ،(١٩٩٤)، من هم التتار ؟، ترجمة وتعليق : د. رشيدة رحيم الصبروتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .

٣٣ -لسترنج، كي،(١٩٥٤)،بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، وأضاف أليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد .

٣٤-مؤنس،حسين،(١٩٨٧)، أطلس تاريخ الإسلام ، تصميم ورسم الخرائط ، جيوفاني دي اجوستين، مطابع تين واه - سنغافوره ، الناشر : الزهراء للأعلام العربي،ط١ ، القاهرة.

٣٥- الموسوعة العربية الميسرة،(٢٠١٠)، شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت
.

***البحوث غير المعربة المنشورة في المجلات الاجنبية:**

about the Mongols in light of the book 36- Al-Taai, Suaad Hadi Hassan. (2020). Historical narratives the Eastern Caliphate " of the Orientalist Guy Le Strange. PalArch Journal of Egyptian "Countries of . Antiquities/Egyptology, 17(7),p. 15085